هيباتيا السكندرية.. أحرقوها لأنها تفكر

(احفـظ حقـك في أن تفكـر فحـتى التفكـير الخـاطئ أفضـل من عـدم التفكير مطلقا.. الكون لا يغضـب من الأسئلة... البشر هم من يغضبون)

هيباتيا السكندرية 355-415 م

الاسـكندرية دائمـا جميلـة عـبر كـل العصـور ونحن اليـوم في العـام 415 ميلاديـا ولكن في هـذا اليـوم اجتمـع الجهـل والعلم معـا في مكـان واحـد حيث وقفت حشود من الناس تراقب جماعات البارابـالاني (Parabalani) وهم يحرقون رجل بالقاءه في حفـرة مشـتعله ويضـحكون وهم يشـاهدون الرجل المسكين وهو يحاول الخـروج ومن يتجرأ على الكلام يصيحون فيه

- هل تريد ان تكون معه أنه كافر يغضب الرب

همس أحد الحضور معلقا

- يغضب الرب أم يغضب كيرلس

لحسن الحظ تمكن الرجل من الخروج وساعده الناس على اطفاء النار المشتعله والابتعاد به وميلشيا كيرلس من الرجال الأشداء تتابع المشهد وتضحك ساخرة.

بعيدا عن هذا المشهد الصادم وداخل مكتبة الأسكندرية كانت هيباتا عالمة الرياضيات تجلس مع طلابها والذين تتراوح أعمارهم بين 12 و 15 سنة وكانت دائما تبدأ بسؤال عصف ذهني لطلابها المتحمسين وهذه المرة القت ورقة على الأرض كان السؤال

- لماذا سقطت الورقة
- الهواء لايستطيع حمل الورقة
- لماذا
- الوزن .. وزن الورقة
- بل القوة
- أي قوة ؟
- قوة الأرض..
- قـــوة الأرض لمـــاذا لاتســـقط السحاب أو النجوم أو الشمس
- قوة السحاب أكبر من قوة الأرض

هنا غمست **هيباتيا** كـرة في المـاء ثم القتهـا في الهـواء ليتنـاثر المـاء ويضحك الطلاب وأكملت

- تـدور الكـرة ويطـير المـاء لمـاذا لايحـدث هـذا مـع الأرض والبحـر بجوارنا
- القـوة هنـاك قـوة تتحكم في كـل شئ

- ولكن مــا الــدليل على أن الأرض كروية
- شاطئ البحر
- كيف ذلك
- لـــو وقفتم تشـــاهدون الســـفن القادمـــة ســـتظهر المقدمـــة أولا وهــذا لا يحــدث الا لـــو كنــا على جسـم دائـري لـو مسـتوى لـرأيت السفينة كلها
- ملاحظة رائعة

الأرض بيضاوية

هنا أخرجت **هيباتيا** فرشــاة ملونــة ولـــوح خشـــبي عليهـــا مســـمارين مربوط بينهم خيط وقالت

- كــل مســمار يمثــل الشــمس في الشروق والخــروج والفرشــاة هي الأرض تدور حول الشمس

بدات ترسم بالفرشاة حـول الخيـط المربوط وفي النهاية تشـكل شـكل بيضاوي وهنا سألت

- ماذا حدث؟
- شكل دائري
- بل بيضاوي
- هكذا شكل الأرض
- أحقا سنقيس في المساء السماء
- نعم باســـــتخدام الاســـــطرلاب سنقيس زاوية نجم في السماء
- يقولـون أن السـؤال عن السـماء كفر
- لـو كـانت السـماء تخـاف الأسـئلة لمـــا أضـــاءت.. العلم لا ينـــاقض الإيمـان، الجهـل يفعـل والكلمـات يمكن تحريفهـــا لكن الأرقـــام لا تجامل أحدًا
- الأرقام صادقة

- الأرقام أيضا عادلة

هنـــا تـــدخل طالبهـــا المفضـــل **سينسوس وسألها**

- كيـف يكـون للقـانون أفضـلية عن الحقيقة
- طالما أنك سألت السؤال سيكون لي عندك سؤال في نهاية الدرس

ضـحك ولكنهـا أكملت لـو أعطيتـك رغيـــف ثم رغيفين ثم ثلاثـــة فكم رغيف أخذت

- ستة
- هذه الحقيقة والان الى القانون
- لقـــد أعطيتـــك س ثم س +1 ثم س +3 ليكون المجموع 6

بـــدأ طـــالب يكتب على لـــوح مـــع كلمات هيباتا

- الان 3 س + 3 يســاوى 6 ومنهــا ســـيكون س يســـاوي 1 وهكـــذا تأكدنا من صحة الحقيقة رغيف ثم رغيفين ثم ثلاثة يكون ستة أرغفة
- صحيح
- ليس هذا فقط هناك أيضـا قـانون يحكم الحقيقة وهــو أن 3س + 3 يسـاوى مجموعـة الأرقـام الثلاثـة فلـــو عـــرفت المجمـــوع عـــرفت الــرقم الأول ولــو عــرفت الــرقم الأول عـــرفت مجمـــوع الأرقـــام الثلاثة
- أصدقك لأنك معلمتنا
- لا تصدقني... اختبر ما أقول

هنـا دخـل أبوهـا ثيـون وتوجـه اليهـا مباشرة وطلب منهـا أن تعطي بعض الراحة للطلاب فنظـرت الى تلميـذها **سينسوس** وطلبت منه القــدوم ثم

أعطتـه مسـألة رياضـية مكتوبـة على لوح خشبي س - ص = أ، س2 - ص 2 = (س - ص) + ب، إذا كان أ وب معـروفين، أوجـد قيمـة س، وص، وأ، وب لجعـــــل كلـــــتي المعـــــادلتين صحيحتان.

ثم ضـحكت وهي تقـول هـذا واجبـك اليوم أيها المجادل

أكمـل أبوهـا – لا أطيـق الخـروج من المكتبة ما اراه في الخارج يفسد كل متعة اعيشها هنا

- ماذا حدث
- رجال كيرلس يحرقـون رجـل في الساحة العامة أمام الجميع أصـبح المشهد معتادا لمن يعارضهم
- الاسـكندرية مسـيحيون ووثـنيون ويهـــود يجب على كـــيرلس أن

يحـــترم ذلـــك وكيـــف يســـمح أوريستس بذلك أنه الحاكم

- لا يستطيع فعل شئ ربما يخشــاه أكـثر منـا لقـد جئت لأحـذرك من هذه الدروس الرائعة التي تقدميها
- ومــا فيهــا أنهــا للجميــع العــدل والمساواة والتنوع هو شعاري هنـا والجميع سعداء لا أحد يرفض ذلك
- قد تكون تلك المشـكلة أتمـنى الا يحدث ذلك في المستقبل القريب ونضطر الى الهرب الى أثينا
- لا أصــدق ذلــك ليس الهــرب هــو الحل يجب مواجهة هذا الظلم
- صــداقتك مــع الحــاكم قــد تزيــد المشكلة
- هــل تمــزح أنهــا ليســت صــداقة وحسب أنه أحـد تلاميـذي ويحضـر أحيانا هذه الدروس

- كل هذا وشعبيتك أمام النـاس قـد تزيـــد من حقـــد كـــيرلس عليـــك وأخشي أن يؤذيك
- ولكني لا أفهم أنه مسيحي مثلهم
- مثلهم لقد ضربوه بالحجارة عندما اشتكي الى الامبراطور وارسل له تقريرا بأفعالهم المشـينة في حـق الناس
- يبـدو أنـني لن أرحـل عن المكتبـة أيضا مـع هـذا الواقـع الكـئيب في الخارج

هنا تقدم سينسـوس منهـا وأخبرهـا بانـــه حـــل المســألة ويســألها عن الاسطرلاب لقيـاس زوايـاه النجـوم وجهـاز الهيـدروميتر لقيـاس نقـاوة السـوائل فتركهـا والـدها وانصـرف بدوره الى كتبه وعمله بالمكتبة

كيرلس وليكتور

وقف كيرلس يتأمل البحـر في عصـر ذلك اليوم عنـدما دخـل عليـه ليكتـور مســرعا وكأنــه يســتعد لعمــل مــا وأبتدره كيرلس بالحديث

- أراك مسـرعا الصـبر والهـدوء من سمات الرجل العاقل
- عندما أستدعيتني تحمست لالقــاء أوريستس في حفرة النار
- لم اطلبك لهـذا واوريسـتس ليس خطرا علينا بـل أن بقـاءه كحـاكم قد يكون مفيدا لنا حتى الان
- من الخطــــر اذن الجميــــع تحت قبضتي
- **هيباتيا**
- عالمـة الرياضـيات هـل سـتحاربنا بالمعـادلات أو بادواتهـا السـخيفة وكتبها

- أنها تجعل الشباب يفكر وعندما يفكر الشباب يصبحون أقوى وخارج السيطرة
- ولكنها ليست الوحيدة
- ستجعلها عبرة للجميع ولتختفي الى الابد وبعدها أما سيرحلون الى اثينا أو يبقون في الاسكندرية مثل الفئران ولن يبقى صوت للعلم سوى صوت الرب
- صوت كيرليس.. سانتظرها عند عودتها من المكتبة بعربتها و...
- لا تخبرني بالتفاصيل أذهلني بما ستفعله وسيكافئك الرب بالتأكيد

أشار ليكتور بالايجاب وأنطلق مسرعا

<u>الاغتيال</u>

في مساء ذلك اليوم من شهر مارس من عام 415 ميلاديا كانت **هيباتيا** عائدة بعربتها من مكتبة الأسكندرية بعد يوم عمل مرهق وليس معها سوى خادمها ليحمل كتبها وادواتها وسائق العربة وتفاجا الجميع بالهجوم الشرس فتم ضرب الساق والخادم ضرب عنيف حتى سقطا والدماء تغطي وجوههم وأجسامهم وتم تحطيم أدواتها العلمية وحرق الكتب مع ضربها وشتمها وتوجه أحد الرجال الأشداء من المعتدين الى ليكتور وسأله

- هل نقتلها هنا
- لا اسحلوها حتى حفرة النار وهناك اذبحوها والقوها في الحفرة

داخل جريدة الأخبار

وقـف حـازم بـدر الصـحفي بجريـدة الأخبار أمام مكتبـة الأسـكندرية وهـو يتخيل ما حدث لهيباتيا في تلك الليلـة المشـئومة في تـاريخ الأسـكندرية ثم ذهب الى مكتبه ليكمل تقريـره عنهـا والـذي اختـار لـه عنـوان (حين تقتـل المعرفـــة يولـــد الجهل) وبـــدأ يكتب (أكثر من 1500 عام مروا على حرق كتب هيباتيـا وحرقهـا.. لم تكن مجـرد أوراق محترقة... كانت صرخة العقل حين يُقمـع. لا تحـترق الكتب بالنـار، لكن أحيانًـا يُقتـل الفضـول... ويُـدفن الفكـــر تحت أعمـــدة البيروقراطيـــة والخـــوف. كـــل تجربـــة تُحـــرم على طفـل... هي جـزء من حريـق آخـر، حريق لا يُرى، لكنه يولـد جهلًا جديـدًا. هيباتيا عنـدما قتلوهـا مـات معهـا من فضـــول، ومن علم لم يُســـأل، ومن

أسـئلة لم يُسـمح بهـا. والجهـاد الحقيقي لم ينتهِ... كل عقل يُنقذ من الخـوف هـو اسـتمرارية لمكتبتهـا ولعلمها الذي لم نعرفـه وكتبهـا الـتي لم نقرأها

وهنا دخل زميله حسام وقال ساخرا

- أيه يـا عم لسـه في هيباتـا باسـت وكوبي وخلص يا ريس
- هنـاك صـحفي صـاحب رسـالة وصحفي صاحب مهنة
- عـارف عـارف صـاحب المهنـة عايزين القرشين وخلاص وصاحب المهنة يعيش معه الموضـوع اللى بيكتبه لحد ما يموت
- صـحيح أنت عـارف أن في عـام 1851م، قـام الـروائي الإنجلـيزي تشـارلز كينجسـلي بتحويـل قصـة حيـاة ومقتـل هيباتيـا إلى عمـل

درامي في كتـاب باسـمها وكتـاب رحلات إلى بيوت معلمين عظام» لألبرت هـابرت عـام 1908. وفي مجلة باسمها من عام 1980

- أنت عشت الموضوع على الآخر
- التقريـــر ربطتـــه كمـــان باغتيـــال سميرة موسى رحمها اللـه اسـمع (لم تُقتـل هيباتيـا لأنهـا وثنيـة، ولا اغتالوا سميرة موسى لأنها عربية، بل لأن العلم... حين يكون حـرًا... يصـبح خطـرًا على قـوى الجهـل والجشع)
- جميـــل أســـيبك بقى مـــع هيباتـــا وسميرة وعندي حفلة توقيع كتابي بالمعرض
- تلاقيـــك مش عـــارف كتابـــك دا بيتكلم عنه أيه

- وغلاوتك ولا حتى الكتاب اللى في المطبعة بس في اتفاق على نشر كتاب جديد
- مبرووووووك

انصــرف حســام وأكمــل (في هــذا العـــالم المفكـــر يُخـــوَّن؟ والعـــالِم يُشـــيطن؟* والجهــل يُصــفَّق لــه؟.. هيباتيا لم تمت... بل مات عصرٌ كـان يمكن أن يكــون أعقــل وأفضــل حين يحترق كتاب يولد جاهل جديد وهيباتـا كــانت تبــني عملًا سيُغضــب الجهــل ويوقــظ العقــول ولهــذا ســحلوها ثم قتلوهـــــا وحرقوهـــــا في شـــــوارع الأسكندرية)

ثم ختم مقالته وقال هامسا – المزيـد من قصص الظلم

(كانت هناك امرأة في الإسكندرية تدعى هيباتيا، وهي ابنة الفيلسوف ثيون. كانت بارعة في تحصيل كل العلوم المعاصرة، مما جعلها تتفوق على كل الفلاسفة المعاصرين لها، بالإضافة إلى تواضعها الشديد لم تكن تهوى الظهور أمام العامة. رغم ذلك كانت تقف أمام قضاة المدينة وحكامها دون أن تفقد مسلكها المتواضع المهيب والذي أكسبها احترامهم وتقدير الجميع لها. كان والي المدينة اورستوس في مقدمة هؤلاء الذي كانوا يكنون لها عظيم الاحترام).

في عام 415 ميلادية في الإسكندرية، خلال موسم الصوم الكبير، اعترضت جماعة من الزعماء المسيحيين المتعصبين بقيادة بيتر

القارئ عربة هيباتيا حين كانت في طريقها إلى منزلها. لقد سحلوها من عربتها، وجردوها من ثيابها، وضربوها بلا رحمة بأدوات حادة — حسب بعض الروايات كان ذلك بأجزاء من البلاط أو الأصداف الحادة — حتى قتلوها. ثم مزّقوا جسدها وأطرافها، وجابوا بها الشوارع، وأخيرًا أحرقوا بقاياها في مكان يُدعى سينارون.

المؤرخ الكنسي سقراط عن هيباتيا في كتابه تاريخ الكنيسة